



خطبة صلاة الجمعة 25 / 12 / 2015 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(أنوار الحبيب-2)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع ومشفع» [رواه مسلم].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمِّي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا المُقفي، ونبيُّ التوبة، ونبي الرحمة» [أخرجه مسلم].

هذه هي الخطبة الثانية من خطب شهر ربيع الأول عنونها: (أنوار الحبيب صلى الله عليه وسلم) أكرر فيها الحديث عن رسول الله لأن في ذكر الحبيب ترويحاً لأفئدة المحبين، وترياقاً لآلام البعاد، ورضاً لرب العالمين، ولأن في ذكر الحبيب غيثاً يروي القلوب التي كوثها نيران الحب، وماءً يبرد أكباداً أحرقتها لواعج الشوق.

ولئن كانت الخطبة الماضية عرضت لوصف الصحابة الكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد اخترت لكم اليوم أقوالاً لشرقين وغربيين من غير المسلمين يصفون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يشهدون له صلوات ربي وسلامه عليه بالسَّبق إلى الكمال والطُّهر في الخصال والكمال في الأقوال والأفعال، كلُّ على حسب عقله وعلمه.

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ما وصفه الواصفون وأعلى مما مدحه المادحون. كيف وقد مدحه الله تعالى في كتابه:

زكى أخلاقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

زكى سمعه فقال: ﴿أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: 61].

زكى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17].

زكى صدره فقال: ﴿الَّذِي نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1].

ورحم الله الشيخ القاضي يوسف النبهاني عندما أنشد:

ليس يدري قدر الحبيب سوى الله	فَمَاذَا تَقُولُهُ الْفَصْحَاءُ
عَظَّمَ اللهُ فَضْلُهُ عَظَّمَ الْخَلْقَ	وَمَنْهُ بَعْمَرُهُ إِيْلَاءُ
خَيْرٌ وَصَفٍ لَهُ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ	فَمَا فَوْقَهَا بِمَدْحٍ عِلَاءُ
هُوَ وَاللَّهُ فَوْقَ كُلِّ مَدِيحٍ	أَنْشَدَتْهُ الرِّوَاءُ وَالشَّعْرَاءُ
حَيِّ يَا بَرَقَ بِالْحِجَازِ عُرِيًّا	مِنْ نَدَائِهِمْ لِكُلِّ رُوحٍ غِذَاءُ
حَيِّ يَا بَرَقَ بِالْمَدِينَةِ حَيًّا	لِعِلَائِهِمْ قَدْ دَانَتْ الْأَحْيَاءُ
حَيِّ عَنِّي غُرْبًا بِطَيِّبَةِ طَابُوا	طَابَ فِيهِمْ شِعْرِي وَطَابَ الثَّنَاءُ
حَيِّ عَنِّي الْبَقِيعَ وَالسَّفْحَ وَالْمَسَ	جَدَ حَيْثُ الْأَنْوَارِ حَيْثُ الْبَهَاءُ
حَيْثُ رُوحُ الْأَرْوَاحِ حَيْثُ جَنَّاتُ الدِّ	حُلْدِ حَيْثُ النِّعَمِ وَالنِّعْمَاءُ
حَيْثُ كُلُّ الْخَيْرَاتِ حَيْثُ جَمِيعُ الدِّ	بِرِ حَيْثُ السَّنَا وَحَيْثُ السَّنَاءُ
حَيْثُ بَحْرُ اللَّهِ الْمُحِيطُ بِكُلِّ الدِّ	فَضْلِ كُلِّ الْوَرَادِ مِنْهُ رِوَاءُ
حَيْثُ يَتَوَيَّ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْخَلْدِ	قِي وَفِي بَابِهِ الْوَرَى قُرْءُ
يَقْسِمُ الْجُودَ بَيْنَهُمْ وَمِنْ اللَّهِ	أَتَاهُمْ عَلَى يَدَيْهِ الْعَطَاءُ

قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

1- مايكل هارت، عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ ألف كتاباً اسمه: (مائة رجل في التاريخ) جمع فيه أعظم مائة شخصية مرة على وجه البسيطة فجعل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أولها وقال: (إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي).

2- ليف تولستوي، أديب عالمي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني عن النفس البشرية، قال: (يكفي محمداً فخراً أنه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأنّ شريعة محمد ستسوّد العالم لانسجامها مع العقل والحكمة).

3- قال الأمير تشارلز: (يمكن للإسلام أن يعلمنا اليوم طريقة للفهم والعيش؛ ذلك أننا نجد في جوهر الإسلام محافظته على نظرة متكاملة إلى الكون، فهو يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، وبين الدين والعلوم، وبين العقل والمادة).

4- برناردشو، المفكر والأديب الانكليزي، قال في كتابه (محمد):

(إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال؛ فإنه أقوى دين على هضم جميع المذنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).
اطّلت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوّاً للمسيحية، بل يجب أن يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها).

5- دائرة المعارف البريطانية: (لقد كان محمد الأكثر توفيقاً من بين جميع الشخصيات الدينية).

6- كولد تسيهر، مستشرق معاصر مات سنة 1921م:

(مع أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكثفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحيان قليلاً لا يكاد يكفيه).

7- رودى بارت: عالم ألماني معاصر، متخصص بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكّرّس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وله كتاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول:

(كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيشون فيها فساداً، حتى أتى محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق باري، وجمعهم في كيان واحد متجانس).

8- إدوار بروي، باحث فرنسي معاصر، وأستاذ في السوربون، قال:

(جاء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم النبي العربي وخاتمة النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين، بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة في دعوته لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، و تم للجزيرة العربية بفضل تعاليمه وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل..).

9- آرنولد توينبي المؤرخ البريطاني المعاصر، انصبت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها مؤلفه: (دراسة للتاريخ) يتكون من اثني عشر جزءاً، استغرق في إعداده أربعين سنة، ومما قاله فيه:

(لقد كرّس محمد صلى الله عليه وسلم حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين: الوجدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم، وتم ذلك فعلاً.... وتدقق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم).

(... لقد أخذت سيرة الرسول العربي صلى الله عليه وسلم بألباب أتباعه، وسمت شخصيته لديهم إلى أعلى عليين).

10- جوتة الأديب الألماني: (إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه "محمد"، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي "محمد")

11- يقول مهاتما غاندي: (أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته؛ بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة).

12- ول ديورانت صاحب قصة الحضارة: (إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع

المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألفت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله).

أيها الإخوة الكرام:

هذا طيف من أنوار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأكثروا من الصلاة والسلام عليه واجتهدوا أن تهتدوا بهديه وتتأسوا بسنته.

والحمد لله رب العالمين